التخييل من منظور الفلاسفة المسلمين: أبو نصر محمد الفارابي أنموذجا

The Imagination Genre from the perspective of Muslim philosophers : Abu Nasr Muhammad Al-Farabi as an example

ط سميرة حفحوف *

جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل 18000، الجزائر

– مخبر البحث في الدراسات السوسيو–لغوية، السوسيو تعليمية والسوسيو–أدبية

samira.hafhouf@univ-jijel.dz

د توفيق قحام

جامعة محمد الصديق بن يحي، جيجل 18000، الجزائر

– مخبر البحث في الدراسات السوسيو–لغوية، السوسيو تعليمية والسوسيو–أدبية

toufik.gueham@univ-jijel.dz

تاريخ الاستلام: 2024/02/19 تاريخ القبول 2024/04/08 تاريخ النشر 2024/06/22

ملخص:

تهدف هذه الدراسة إلى معالجة أهم نظرية جعلت من نفسها رُكنا من أركان بناء الأقاويل الشعرية ألا وهي نظرية التخييل، التي تمخضت من رحم التزاوج بين المعرفة اليونانية والعربية، كون هذه النظرية تُمثل جوهر الصناعة الشعرية، الأمر الذي رَكَّز عليه فلاسفة الإسلام في أبحاثهم ودراساتهم على وجه أخص أبو نصر محمد الفارابي، وعليه سنحاول من خلال هذه الدراسة الوقوف على آراءه النقدية تجاه هذه النظرية.

الكلمات المفتاحية:

الفارابي؛ التخييل؛ الاقاويل الشعرية؛ المعرفة اليونانية؛ الثقافة العربية.

* المؤلف المراسل

Abstract:
The present study aims to address the most important theory that has made itself a pillar of the construction of poetic sayings, which is the theory of imagination, that emerged from the integration between Greek and Arabic knowledge since this theory represents the essence of the poetic industry, which is what Islamic philosophers focused on in their research and studies in particular Abu Nasr Muhammad al-Farabi. Therefore we will try through this study to find out his critical opinions regarding this theory. So, we have reached:
- Imagination represents the foundation upon which poetic statements are built, just like the pillars of poetry;
-Greek knowledge in general and Aristotelian knowledge in particular had a great influence on Arab-Islamic culture, which was clearly demonstrated through what Al-Farabi presented in his studies.
***key words**:*
Al-Farabi; imagination; poetic sayings; Greek knowledge; Arab culture.

مقدّمة:

شهدت نظرية المحاكاة نقلا من البيئة اليونانية إلى البيئة العربية فاتخذ لها فلاسفة الإسلام مُصطلحا مُغايرا في اللفظ مطابقا في المفهوم والهدف ألا وهو مصطلح التخييل، هذا الجنس الذي عُدّ جوهر الأقاويل الشعرية وقوامها الذي تُبنى عليه، فهو الناطق الرسمي لها ولسانها الذي يُعبر عن جماليتها وفنّيتها، ارتبط بكل عمل أدبي إبداعي وما يُحدثه هذا الأخير من انفعالات في نفس المتلقي استحسانا أو استهجانا، ولأهمية هذه النظرية فلاسفة كُثر أنفقوا وقتا وجُهدا خدمة له تنظيرا وتطبيقا، من بينهم أبو نصر محمد الفارابي الذي استفاد ممّا قدَّمته الفلسفة اليونانية، وسار على المسلك نفسه الذي رسمه فلاسفتها في الكثير من المواضع خاصة ما تعلق بمسألة الأثر الوظيفي لجنس التخييل في الصناعة الشعرية، والأبعاد التي يروم إلى تحقيقها والممثلة في البُعد النفسي والبلاغي أضف إلى ذلك البُعد المنطقي، فكان التخييل بذلك وسيلة تسعى إلى تحقيق الجمالية في النتاجات الأدبية بوسائل بلاغية

تطبع أثرا في نفس المتلقي، تحكمها قوانين المنطق حتى تكون أقرب إلى التصديق المنطقي، هنا تطرح الإشكالية تساؤلها كالآتي:

-كيف نظر الفارابي إلى مسألة التخييل في الصناعة الشعرية؟ وما روافده الفكرية؟

أمّا عن فرضيات الدراسة تمثلت في أنَّ: التخييل يمثل القاعدة الأساس لبناء الأقاويل الشعرية، أضف إلى أن المعرفة اليونانية مثَّلت مصدر هام من مصادر المعرفة عند الفارابي.

والهدف من هذه الدراسة هو: معرفة مدى تأثير المعرفة اليونانية على المعرفة العربية عامة وعلى فلاسفة الإسلام خاصة، مع البحث عن الإضافة التي قدّمها الفارابي خدمة لمسألة التخييل في الشعر.

أمَّا منهجية البحث بُنيت على: مقدمة، تطرقنا بعدها إلى ضبط مفهوم التخييل في اللغة والاصطلاح، انتقلنا بعد ذلك إلى الحديث عن نظرية عمود الشعر عند الفارابي، ثم عالجنا بعدها مسألة التخييل والقياس الشعري عند الفارابي، أضف إلى ذلك الحديث عن الصناعة الشعرية بين دفتي المحاكاة والتخييل مع التطرق إلى وظائف التخييل الشعري عند الفارابي، لتُختتم الدراسة بخاتمة لخَّصنا فيها جملة النتائج التي توصلنا إليها من خلال هذه الرحلة البحثية.

1. التخييل ودلالته:

1.1 لغة:

حظي مصطلح التخييل بتعريفات عديدة ومتنوعة في المعاجم التراثية، إذ عرَّفه صاحب معجم مقاييس اللغة تحديدا في مادة (خ يّ ل) على أنَّ: "الخيال هو الشخص، وأصله ما يتخيله الإنسان في منامه لأنه يتشبه ويتلوّنُ، خيّلت للناقة: إذا وضعت لولدها خيالا يفزع منه الذئب، وتخيلت السماء: إذا تهيأت للمطر، ولا بُدّ أن يكون عند ذلك تغير اللون، والمخيلة: السحابة، وخيلت على الرجل تخَيُلا: إذا التهمت اليه، وتخيلتُ عليه تخيُلا: إذا تفرست فيه"[1]، كما يُعتبر التخييل عند محمد الجرجاني صاحب معجم التعريفات على أنه:

"قوة تحفظ ما يُدركه الحسّ المشترك من صور المحسوسات بعد غيبوبة المادة، بحيث يشاهدها المشترك ومحله مؤخر البطن الأول من الدماغ"[2]، وعليه اتخذ التخييل من الوهم ومشتقاته مرادفا له، ومن الدماغ مركزا له الذي فيه تتشكل الصور والتي قد لا يكون لها وجود أصلا في الواقع، حيث يعمل الشاعر على تصوير أحداثها بصورة تكون أقرب إلى الحقيقة، بهدف ترميم النقص في الصور المتخيلة، فكان بذلك أبعد عن اليقين أقرب إلى الشك.

2.1 اصطلاحا:

التخييل ملكة فردية، يختص بها الشخص الواحد، تنتقل عبر مراحل ومشاهد واقعية، عرّفه محمد مفتاح على أنه: "قوة وملكة من بين القوى والملكات التي يمتلكها كل إنسان عادي مثل السمع، البصر، التفكر، العقل"[3]، فالتخييل يحُيل إلى قدرة عقلية مُتصلة بالفرد، أمّا في المجال الأدبي يعمل على تحقيق التفاعل والانفعال بين الرسالة والمتلقي، فهو مرتبط بالمبدع من خلال نقل الصور الذهنية إلى المتلقي بُغية خلق التفاعل بينهما فهو: "نتاج تفاعل جمالي بين الشاعر والمتلقي، يتمخض عنه وعي جديد بالعالم والأشياء، مغاير في الطبيعة الادراكية للوعيين الحسّي والعقلي، فحين ترتسم في ذهن الشاعر رؤى خيالية ذات إيحاءات جمالية مؤثرة، ويكتمل وعيه الإبداعي بها يشكلها بالأسلوب الشعري المناسب لها، فيبُثها في الناس لتثير في نفوسهم وخيالاتهم الانفعالات والرؤى الفنية التي عاشها في تجربته التخييلية"[4]، فالتخييل بمعناه العام ملكة لا يمكن فصلها عن الذات الإنسانية، شأنه كشأن الحواس الأخرى، أما في حقل الأدب أصبح التخييل هو ذلك التفاعل والانفعال، أمَّا التفاعل يكون بين مُخيلة الشاعر والصور المشكلة فيها، أما الانفعال فهو الأثر الناتج عن حسّ المتلقي من خلال التأثر بتلك الصور التخييلية، ومن هنا جاءت العلاقة بين النص والمتلقي في الدراسات الأدبية.

2. نظرية عمود الشعر عند أبو نصر محمد الفارابي:

اتفق الفارابي مع الكثير من النقاد العرب في تحديد مفهوم الشعر ودلالته، فضبطوا ماهيته وحدّدُوا وظيفته، إذ عرّفه الجاحظ على أنه: "صناعة وضرب من النسج وجنس من التصوير"[5]، فالصناعة الشعرية في نظره تقوم على التخييل من خلال نسج الصور التي لها حضور في مُخيلة الشاعر، ليتجاوز المرزباني سُنة الوزن والقافية في صناعة الشعر يقول: "وإنما الشعر أبعد من ذلك مراما وأعز انتظاما"[6]، أمّا الفارابي فقد استفاض في تحديد الظاهرة الشعرية إذ ارتبطت في نظره بالواقع، تحكمها قوانين المنطق من كل جانب، وظيفتها في ذلك إثارة الانفعال في نفسية المتلقي، يقول:" إنه يصير أكمل وأفضل في ألفاظ: إمَّا غريبة وإمَّا مشهورة، وبأن تكون المعاني المفهومة عن ألفاظها أمورا تحاكي الأمور التي فيها القول وأن تكون بإيقاع مقسومة الأجزاء"[7]، فعمود الشعر عنده قائم على التخييل، يرى في ذلك أن الوزن، القافية واللفظ الشعري روابط تُساعد الشاعر على الوصل بين الصور التخييلية التي نسجها في مخيلته، وقد اتضح ذلك من خلال تقسيمه للشعر إلى أقسام ثلاثة مُمثلة في قوله: "إحصاء الأوزان المستعملة في أشعاره، والنظر في نهاية الأبيات في وزن ووزن، ويفحص عمّا يصلح أن يستعمل في الأشعار من الألفاظ"[8]، والقصد من ذلك أن تكون الأقاويل الشعرية على نمط إيقاعي مُعين، متسلسلة على الحرف الواحد وما يضبطها هو الحدُّ والقياس المنطقي، وعليه نستنتج أن عمود الشعر عنده قائم على:

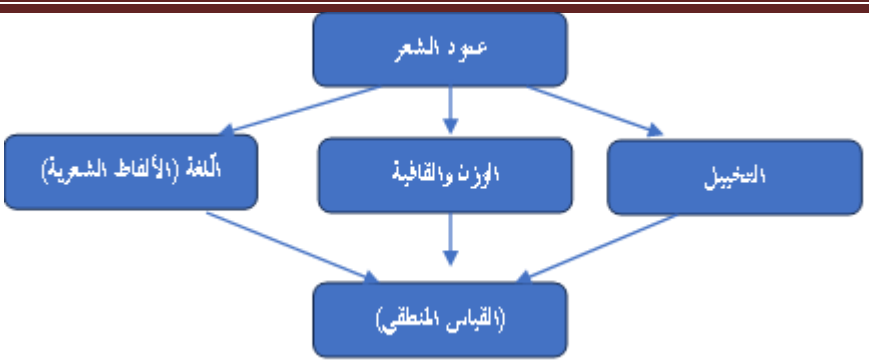

3. التخييل والقياس الشعري عند الفارابي:

احتك الفكر الفلسفي عند الفارابي بالفكر اليوناني، إذ شاع في موسوعتنا الثقافية على أن الفارابي كان من أوائل الفلاسفة الذين تأثروا بالفلسفة اليونانية وراح يتعاطى من ثقافتها، فمثّل بذلك الرافد اليوناني عامة والأرسطي خاصة أهم مصادر المعرفة العلمية عنده خاصة ما تعلق بفن الشعر، تجلى ذلك من خلال ما قدَّمه من دراسات وشروحات لنتاجاته، فتغذَّتْ فلسفة الفارابي من فكر أرسطو وتشبَّعت به إلى أن اكتمل نضجها ونُموها، وأهم ما ركز عليه المنطق وحدوده يرى في ذلك أن مقولات المنطق هي: "تلك المعقولات من حيث تدُل عليها الألفاظ، والألفاظ من حيث هي دالة على المعقولات"[9]، والمنطق حين يُعطي قوانين للألفاظ:" إنما يُعطي قوانين تشترك فيها ألفاظ الأمم ويأخذها من حيث هي مشتركة ولا يُنظر في شيء ممّا يخص ألفاظ أمة ما"[10]، فكل خطاب في تركيبه يتشكل من ألفاظ، هذه الأخيرة لا بُدّ أن تُراعى فيها قوانين، أُولاَها أن لا تخرج عن المعقول وعن حدود المنطق هذا من جهة، ومن جهة ثانية أن تكون مشتركة تُدركها كل الثقافات، لذلك قسّم الفارابي المنطق إلى خمس مراتب مثّلها في:

-البرهان: ويُقدم المعرفة اليقينية عن طريق مقدمات صادقة.

-الجدل: فيُقدم معرفة ظنية لأنه يعتمد على مقدمات مشهورة.

-السفسطة: تُقدم معرفة زائفة عن طريق مقدمات مُموهة، من شأنها أن تضلل وتلبس وتوهم فيما ليس بحق أنه حقا.

-الخطابة: وهي التي يُلتمس بها الاقناع بقصد إمالة المستمع للتصديق.

-الشعر: وهو الذي يُقدم معرفة تخييلية باستخدام المثالات والمحاكيات دون تدقيق في صدق المقدمات أو كذبها[11].

استنادا إلى ما سبق نلاحظ من التقسيم الذي طرحه الفارابي أن الشعر صُنف في الدرجة الأخيرة من تقسيمات المنطق، إلاّ أنه جزء لا يتجزأ منه على الرغم من طبيعته التخيلية القائمة على الخيال والوهم الذي يتنافى مع المنطق واليقين، وهذا ما عبّر عنه عباس أرحيلة من خلال قوله: "والشعر وان احتل نهاية الترتيب لفروع المنطق فإن له دورا أساسيا معرفيا في حياة الإنسان النفسية والأخلاقية والاجتماعية، فهو يحتل مرتبة في سُلم المنطق وان اعتمد طبيعة تخييلية...فكانت القياسات المنطقية والخطابية عنده يقينية، وظيفية، مغالطة، مقنعة، مخيلة"[12]، ومن زاوية أخرى ينتقل بدوره إلى تقسيم القول الشعري إلى قول جازم وقول غير جازم :" والجازم منه ما يكون قياسا ومنه ما يكون غير قياس، ومنه ما يكون بالقوة ومنه ما يكون بالفعل، وما هو بالقوة إما أن يكون استقراء وإمّا أن يكون تمثيلا، والتمثيل أكثر ما يستعمل إنما يستعمل في صناعة الشعر"[13]، وعلى هذا الأساس يتضح أنّ الفارابي قام ببناء نظرية القوة والتميُز التي تنطلق من الجزم بالشيء إلى قُوّة التمثيل ومنه قُوّة الصناعة الشعرية، فربط الشعر بالتمثيل وجعل من هذا الأخير مُواز للاستقراء.

وتماشيا مع ما سبق ذكره انتقل الفارابي إلى الحديث عن مسألة القياس من خلال تحديده لمرتبة الشعر في سُلم المنطق، إذ قسَّم القياسات إلى:" أقاويل صادقة بالكل لا محالة براهينية، وأقاويل صادقة بالبعض على الأكثر جدلية، وأقاويل صادقة بالمساواة أي متساوية بالصدق والكذب خطبية، والصادقة بالبعض على الأقل سفسطائية، والكاذبة بالكل لا محالة شعرية"[14]، ليتضح لنا بذلك من خلال قوله أن القياس أنواع: منه البرهان ومنه الجدل ومنه الخطابة ومنه السفسطة ومنه الشعر، فجعل القياس مبني على المنطق الذي يرتبط بالصدق والكذب هذا الأخير الذي حفر أثرا له في بنية الشعر، فهو في نظره ليس تزييف للحقائق

وإنّما تحسين للوجود وترميم للواقع وإظهاره بالشكل المثالي الذي يراه ويريده الشاعر، فالخطاب الشعري عند الفارابي هو ما يتصل بالصورة وبالتصوير البلاغي القائم على المثال والتشبيه وغير ذلك من الوسائل البلاغية، لذلك يرى أنّ الشعراء الحقيقيون هم الذين: "يجودون التشبيهات والتمثيلات في الصناعة الشعرية"[15]، فالخطاب الشعري قسم من أقسام المنطق فكان: "الشعر قياس منطقي يُتوسل إليه بالتخييل أي أنه صورة تعبيرية وخيالاته تقوم بدور التصديق، فتكون مقدمته الأولى محاكاة أو تشكيلا جماليا تترتب عليها وظيفة التأثير في المتلقي"[16].

وعليه يجب التركيز على ما ينتجه الخيال من صور فنية وجمالية، هذه الأخيرة هي التي تتغلغل في نفس المتلقي حتى تجعل منه عنصرا منفعلا ومتفاعلا مع تلك التشكيلات الإبداعية، فالشاعر يسعى بجهده إلى تشكيل الصور المتواجدة في عالمه لينقلها بذلك في شكل خطابات إلى المتلقي، شريطة أن تكون تلك الصور في حدود المنطق ووجها من أوجهه حتى تكون أقرب إلى التصديق المنطقي، وتبقى الاستعارة، التشبيه والتمثيل، وسائل تساعد الشاعر على الربط بين الصور التخييلية، فالتخييل عند الفارابي لا يُمثل عاملا سلبيا في التفكير الإنساني، إنّما هو مرجعية إنتاجية قائمة على الإفادة والاستفادة، فالإفادة تكون من منطلق الإبداع والتصوير الفني والتأثير في المتلقي، أمّا الاستفادة فترتبط بالواقع أو المركز الذي يُحرك العملية الإبداعية، ولذلك يمكن الفصل بين الخيال بوصفه ارتباط الإبداع بالواقع، أمّا التخييل فهو ارتباط المتلقي بالنص، ويبقى دور التخييل هو تقريب الصور إلى التصديق المنطقي من خلال تقديم صورة مجردة في قالب حسّي إلى المتلقي، فكانت الأقاويل الشعرية بناء لغويا مُخيلا.

4. الصناعة الشعرية بين دفتي المحاكاة والتخييل عند الفارابي:

بالرغم من أن الفارابي ربط مسألة الصناعة الشعرية بالتخييل إلاّ أنه في تصوره هذا جعلها أكثر ارتباطا بمسألة المحاكاة عند أرسطو فجعل من مصطلح التخييل مرادفا لها،

فكانت الصناعة الشعرية في نظره محاكاة وتخييلا، أي أنّ:" المخيلة تُعيد تركيب المحسوسات وتستعيد صورها، وهناك ثلاث مستويات للإدراك الإنساني يقدمها كل من الحسّ والتخييل والعقل، فالأشياء تكون معلومة بالحسّ والعقل وبالمتخيلة التي هي متوسطة بينهما"[17]، فالفارابي يرى أن القول الشعري ينسجه التمثيل من خلال إدراك الحقائق والأشياء المشكلة ضمن تركيبة من الصور التخييلية والتي تكون بالحسّ الذي تتوسطه المتخيلة يتبعها العقل، الأخير يسعى إلى التقريب بين الصور فيحدث بذلك إحساسا يتمخض منه تفاعل حسّي لدى المتلقي: "فالمتخيلة تنتج أقاويل كاذبة لا يوثق بها ولا تقدم المعرفة الحق، وإنما تحاكي الأشياء بمثالاتها وأضدادها، فهي تقع في أدنى درجات السلم المنطقي، نظرا لقصورها المعرفي وارتباطها بالغرائز والانفعالات للسلوك الإنساني عامة، فمهمتها تنحصر في ابتكار تشكيلات جمالية مؤثرة لحقائق توصل اليها العقل بالفعل"[18]، فاتخذت المتخيلة الرتبة المتدنية في المنطق وهي القائمة على الشك والكذب لارتباطها بالغريزة، وتبقى وظيفتها الأساس هي الإتيان بتشكيلات وصور جمالية تؤثر في حسّ المتلقي، فارتباط الصناعة الشعرية بالتخييل من وجهة نظره يكون انطلاقا من محاكاة الأشياء وهي الصورة التي قدّمها أرسطو وما التخييل إلاَّ وجها من وجوهها، لتكون المحاكاة قوام الصناعة الشعرية وأساسا من أساساتها، هدفها خلق التشبيه بين الصور ومحاولة تمثيلها في ذهن المتلقي وفق قالب لغوي، فكانت في النتاج الأدبي من وجهة نظر الفارابي إنما هي: "تشمل عملية التأليف الشعري كلها، وهي تُعنى بالتفاعل مع الواقع عن طريق التمثيل والكناية والرمز والإيحاء والتخييل، وقد كان للفارابي رؤية خاصة للعملية الشعرية وهو يربط المحاكاة بالتخييل وأرسطو لم يُشر في كتابه إلى ملكة التخييل باعتبارها قدرة خلاّقة"[19]، وعليه بالرغم من أن أرسطو لم يعتبر ملكة التخييل قُدرة خلاّقة إلاّ أنّ الفارابي رأى عكس ذلك فكانت المحاكاة الشعرية عنده: "أن يؤلف الشاعر القول الذي يصنعه أو يُخاطب به من أمور تُحاكي الشيء الذي فيه الخطاب، وهو أن يجعل القول دالا على أمور تحاكي ذلك الشيء، ويلتمس بالقول المؤلف

مما يحاكي الشيء تخييل ذلك الشيء، وإما تخييله في نفسه، وإما تخييله من شيء آخر فيكون القول المحاكي ضربين: ضرب يُخيّلُ الشيء نفسه، وضرب يُخيل وجود الشيء في آخر"[20].

فالتخييل في الصناعة الشعرية ضربان: الأول أن يقوم الشاعر بنسج صور واقعية حقيقية كنسجه لصور حادثة ما تُعبر عن فرح أو حزن، أمّا الضرب الثاني فهو تخييل من ملكة الشاعر حيث هذا الأخير يرسم في عالمه صورة ما يحاكيها كما هي مُشَكلة في عالمه الخيالي، وكلا الضربين يكون التخييل والمحاكاة فيهما بالألفاظ وما يضبط ذلك المنطق وحدوده.

ويبقى الغرض من فعل المحاكاة والتخييل في القول الشعري هو تقديم صور تخييلية إبداعية بصورة فنية قائمة على الوهم تسعى إلى إغراء المتلقي والشاعر –عن طريق التخييل– يعمل على تقريبها إلى الحقيقة وإسقاط المتلقي في دوامة التصديق المنطقي، يقول عن القوة المتخيلة من خلال تقسيمه للنفس الإنسانية وقواها: "إنها تحفظ المحسوسات بعد غيبتها عن الحس، وهي بالطبع حاكمة عن المحسوسات ومتحكمة عليها"[21]، فالمتخيلة تقوم بنسخ صورة للشيء الذي ترك حسّا في نفس الشاعر خلال فترة زمنية معينة، ذلك أن الحس يأتي لفترة ويغيب فترات ويبقى دور المتخيلة والمحاكاة هو التعبير باللغة وهنا يتمخض الفن، فمحاكاة الأشياء تكون بالحسّ ثم تتجاوز الحسّ بالأفكار، وظيفتها استعادة صور المحسوسات، وعليه يعمل التخييل على تركيب ودمج الصور المحسوسة من خلال نسخ الأحاسيس ودمجها ثم محاكاتها في صور لفظية، يقول: "إنَّها تركيبات مختلفة يتفق في بعضها أن تكون موافقة لما حسّ، وفي بعضها تكون مخالفة للمحسوس"[22]، والقصد بمخالفة المحسوس أن الصور الحسّية تحافظ على وجودها وما ينبغي مخالفته هو ما ينتجه الشاعر، حيث إن الإنتاج الشعري قوامه التحرر لا الالتزام بما أملته عليه الحواس، فالتغيير في عملية التخييل شرط من شروط الجمالية في الصناعة الشعرية، يساعده في ذلك وسائل تخييلية فنية ممثلة في التشبيه والتمثيل...إلخ، فالقول الشعري تجلى بتشبيه آخر من وجهة نظره على أنه

هو ما: "يشبه الرسم وكأنهما مختلفان في مادة الصناعة ومتفقان في صورتها وفي أفعالها وأغراضها، إذن فعليهما جميعا التشبيه وغرضيهما إيقاع المحاكيات في أوهام الناس وفي حواسهم"[23]، فالمادة واحدة، إنما يكمن الاختلاف في التشكيل والصورة التي يُجسّدها الشاعر في نصّه بناء على ما نُسج في مخيلته الخاضعة للمنطق وضوابطه والتي لا تخرج عن نطاقه، فهو قانون لا يمكن تجاوزه في سيرورة هذه العملية الإبداعية.

5. وظائف التخييل الشعري عند الفارابي:

في سياق الحديث عن وظائف اللغة الشعرية القائمة على الصور التخييلية تجدر بنا الإشارة إلى ضبط وظائفها انطلاقا مما هو شائع في موسوعتنا الثقافية من خلال ما قدمه رومان جاكبسون للغة الشعرية إذ يرى أن هذه الأخيرة تهدف إلى تحقيق جملة من الوظائف منها الوظيفة التعبيرية: وهي الانفعالية المرتبطة بالمبدع (المرسل) والتي تعمل على خلق الانفعال في المتلقي، أما الافهامية وهي التي ترتبط بالمتلقي (المرسل إليه) فهي تأثيرية إقناعية وما يربط الحلقة التواصلية النص (الرسالة)، وبالانفعال يتحقق التأثير ثم الاقناع، فكل ما جاء به رومان جاكبسون إنما هو استيعاب لمقولات نقدية قديمة عبّر عنها الفارابي من خلال التأثير وتحقيق فعل الاقناع في المتلقي، إذ تجلت الوظيفة التأثيرية في الآراء النقدية عند الفارابي وسُميت بالوظيفة الإقناعية وهي المرتبطة بالفاعلية والتشكيل الذهني الذي يقع على المتلقي، فالتخييل في الأقاويل الشعرية عند الفارابي يرمز إلى الأثر الذي يطبعه العمل الشعري في المتلقي وما يحدثه من انفعال: "فهو يشير إلى عملية التلقي في الصناعة الشعرية وهي عملية سيكولوجية لها أساسها الميتافيزيقي والمعرفي والأخلاقي"[24]، ويرى أن التخييل والحسّ وجهان لعملة واحدة لا فصل بينهما، فالأقاويل الشعرية في نظره لا يَهُم صدقها أو كذبها بقدر ما يهم قدرتها على التأثير في المتلقي ومن ثم إقناعه بتقريب الصور الوهمية إلى الحقيقة، فتتفاعل الذات المتلقية مع تلك الخطابات التخييلية فيحصل بذلك الإقناع:" إذ يلعب الشعر وظيفته بالنسبة للجمهور نفس الدور الذي يلعبه البرهان بالنسبة للفلاسفة، ولا

تحدد وظيفته الإقناعية للشعر في صدق القول أو كذبه وإنما في القدرة التخييلية التي ينطوي عليها العمل الشعري"[25]، فوظيفة اللغة التخييلية في الصناعة الشعرية هي نسج صور تُبر عن حدث ما في ذهن المتلقي.

فكان التخييل في نظره هو جوهر الصناعة الشعرية وقوامها الذي ترتكز عليه وما يتحكم في زمام هذه العملية المنطق من خلال تقريب الصور إلى الحقيقة، فكان الشعر حسبه قياسا تخييليا منطقيا مرتبط بالإدراك الحسي من خلال ربط الصناعة الشعرية بالنفس، وتبقى الوظيفة التأثيرية الإقناعية أهم ما تحققه الصور التخييلية الشعرية.

خاتمة:

بعد هذه الرحلة البحثية التي عالجنا من خلالها جنس التخييل ودوره في الصناعة الشعرية عن الفارابي، توصلنا في نهاية البحث إلى جملة من النتائج ممثلة في:

– الشعر في نظر الفارابي صناعة كباقي الصناعات له قواعد وشروط لا بُدَّ أن تُراعى، ويبقى التخييل القاعدة الأساس التي تبنى عليها الأقاويل الشعرية.

– يرى الفارابي أنَّ الكذب الفني ليس تشويه للأقاويل الشعرية بل هو ترميم للنقص وسد الفجوات في الصور التخييلية.

– علاقة الصناعة الشعرية بالنفس —سيكولوجية المتلقي–أهم مسألة ركز عليها الفارابي، إذ يرى أن العلاقة بينهما علاقة تكامل لا فصل ولا انفصال أحدهما عن الآخر.

–جودة الأقاويل الشعرية تكمن في مدى تمكن الشاعر من التفنن وحُسن استخدام الروابط البلاغية الممثلة في التشبيه والاستعارة والكناية ...، فأجود الشعر هو الذي يكون أكثر اتصالا بعلم البيان.

الهوامش:

[1] أبو الحسن بن فارس بن زكريا، معجم مقاييس اللغة، تح عبد السلام هارون، دار الجيل، ط01، بيروت، لبنان، 1991 م، ص235، 236.

[2] السيد الشريف علي بن محمد الجرجاني، التعريفات، دار الندى، ط1، مصر، الإسكندرية، 2004م، ص110.

[3] محمد مفتاح، مشكاة المفاهيم –النقد العربي والمثاقفة–الدار البيضاء، ط1، المغرب، 2000م، ص10.

[4] يوسف الإدريسي، التخييل والشعر–حفريات في الفلسفة العربية الإسلامية–، منشورات ضفاف،ط1، بيروت، لبنان، 2012، ص25.

[5] ابي عثمان عمرو بن بحر لجاحظ، الحيوان، تح عبد السلام هارون، مطبعة الحلبي، ط2، القاهرة، ج3، 2003م، ص131.

[6] محمد بن عمران بن موسى المرزباني، الموشح في مآخذ العلماء على الشعراء، تح محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية، ط1، 1995م، بيروت، لبنان، ص 547.

[7] أبو نصر محمد الفارابي، جوامع الشعر–ضمن ابن رشد، تح محمد سليم سالم، مطابع الأهرام، ط1، القاهرة، 1971م، ص171.

[8] أبو نصر محمد الفارابي، إحصاء العلوم، تح عثمان أمين، مكتبة الأنجلو، ط 2، القاهرة، م 1968، ص66،65.

[9] المصدر نفسه، ص 74.

[10] المصدر نفسه، ص 177.

[11] ينظر: المصدر نفسه، ص 83،80.

[12] عباس أرحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين إلى حدود القرن الثامن الهجري، منشورات كلية الآداب والعلوم الإنسانية، ط1، الرباط، م 1999، 372.

[13] أبو نصر محمد الفارابي، رسالة في قوانين صناعة الشعراء–ضمن كتاب فن الشعر–، تحقيق عبد الرحمان بدوي، دار نهضة مصر، ط1، القاهرة، 1953م، ص 151.

[14] عباس ارحيلة، الأثر الأرسطي في النقد والبلاغة العربيين، ص372.

[15] أبو نصر محمد الفارابي، رسالة في قوانين صناعة الشعراء، صَ156.

[16] المصدر نفسه، 373.

[17] الفت كمال محمد عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ط1، القاهرة، م 1984، ص54.

[18] المرجع نفسه، ص70.

[19] سهير القلماوي، فن الأدب: المحاكاة، مطبعة الحلبي، ط1، القاهرة، 1953م، ص106.

[20] أبو نصر محمد الفارابي، جوامع الشعر ضمن ابن رشد، ص174.

[21] أبو نصر الفارابي، آراء اهل المدينة الفاضلة، تح البير نصري فأدر، دار المشرق–المطبعة الكاثوليكية–، ط1، بيروت، لبنان، 1985، ص89.

[22] المصدر نفسه، ص89.

[23] أبو نصر محمد الفارابي، رسالة في قوانين صناعة الشعراء، ص150.

[24] ألفت كمال محمد عبد العزيز، نظرية الشعر عند الفلاسفة المسلمين من الكندي حتى ابن رشد، ص123.

[25] عبد الرحيم وهابي، القراءة العربية لكتاب فن الشعر لأرسطو طاليس، تق محمد العمري، عالم الكتب الحديث، ط1، أربد الأردن، 2011م، ص114.